(٣٩٣) أحمر
أسود

تفسير سورة السجدة

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ أَمۡ يَقُولُونَ
ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ
يَهۡتَدُونَ ٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ
ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤ يُدَبِّرُ
ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا
تَعُدُّونَ ٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ
كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن
مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ
وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٩ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ
أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۢۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ
ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١١﴾ [السجدة: ١-١١].

(٣٩٤) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:
﴿الٓمٓ - لَا رَيۡبَ فِيهِ - ٱلۡعَٰلَمِينَ - ٱفۡتَرَىٰهُ - نَّذِيرٍ - يَهۡتَدُونَ - يَعۡرُجُ - عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ - ٱلۡعَزِيزُ - أَحۡسَنَ - ٱلۡإِنسَٰنِ - نَسۡلَهُۥ - سُلَٰلَةٍ - مَّهِينٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿الٓمٓ﴾	أحرف مقطعة لا يعلم معناها إلا الله
﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾	لا شك فيه
﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	السموات والأرض وما بينهما- الإنس والجن
﴿ٱفۡتَرَىٰهُ﴾	اختلقه من عند نفسه
﴿نَّذِيرٍ﴾	رسول ينذرهم
﴿يَهۡتَدُونَ﴾	يوفقون للخير – يسلكون طريق الهداية
﴿يَعۡرُجُ﴾	يصعد
﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾	عالم ما غاب وما ظهر
﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾	الذي لا يغلب
﴿أَحۡسَنَ﴾	أتقن
﴿ٱلۡإِنسَٰنِ﴾	المراد به هنا آدم عليه السلام
﴿نَسۡلَهُۥ﴾	ذريته
﴿سُلَٰلَةٍ﴾	ماء (منيًّا) منسلًّا خارجًا
﴿مَّهِينٍ﴾	حقير – ضعيف



(٣٩٥) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: تنزيل القرآن الذي أنزل عليك إنما هو من رب العالمين، لا كما يقول المبطلون أنه أساطير الأولين، وليس كما يقولون: إن هذا إلا سحر يؤثر.

أما العالمين فالمراد السموات والأرض وما بينهما ويدخل في ذلك الإنس والجن.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ يقول تعالى ذكره: تنزيل الكتاب الذي نزل على محمد ﷺ، لا شك فيه ﴿ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: يقول: من رب الثقلين: الجن والإنس.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: قال: ﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ لا شك فيه.

قال الطبري:

وإنما معنى الكلام: أن هذا القرآن الذي أُنزل على محمد لا شك فيه أنه من عند الله، وليس بشعر ولا سجع كاهن، ولا هو مما تخرصه محمد ﷺ، وإنما كذب جل ثناؤه بذلك قول الذين: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: ٥] وقول الذين قالوا: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ﴾ [الفرقان: ٤].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: لا شك فيه أنه من عند الله فليس بسحر ولا شعر ولا كهانة ولا أساطير الأولين.

س: كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة بسورتي السجدة و«هل أتى» الإنسان اذكر ما يدل على ذلك.

ج: أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ، يقرأ في الفجر يوم الجمعة: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٣﴾.

ج: المعنى – والله أعلم–: أيقولون عن رسول الله ﷺ أنه اختلق هذا القرآن وتقوَّله من عند نفسه، فكذبهم الله عز وجل في قيلهم هذا، وقال: بل هو الحق قد نزل من عند الله عز وجل عليك لتنذر قومًا وهم أهل مكة ما أتاهم من نذير أي من رسول من قبلك لعلهم يوفقوا لطاعة الله عز وجل وسلكوا طريقه.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾ يقول تعالى ذكره: يقول المشركون بالله: اختلق هذا الكتاب محمد من قبل نفسه، وتكذّبه، و(أم) هذه تقرير، وقد بيَّنا في غير موضع من كتابنا، أن العرب إذا اعترضت بالاستفهام في أضعاف كلام قد تقدّم بعضه أنه يستفهم بأم. وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك: ويقولون. وقال: أم بمعنى الواو، بمعنى بل في مثل هذا الموضع، ثم أكذبهم تعالى ذكره فقال: ما هو كما تزعمون وتقولون من أن محمدًا افتراه، بل هو الحقّ والصدق من عند ربك يا محمد، أنزله إليك؛ لتنذر قومًا بأس الله وسطوته، أن يحلّ بهم على

---

(١) البخاري (٨٩١)، ومسلم (٨٨٠).

كفرهم به ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يقول: لم يأت هؤلاء القوم الذين أرسلك ربك يا محمد إليهم، وهم قومه من قريش، نذير ينذرهم بأس الله على كفرهم قبلك. وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يقول: ليتبيَّنوا سبيل الحقّ فيعرفوه ويؤمنوا به.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قَتادة: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ قال: كانوا أمَّة أمِّيَّة، لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾.

ج: هذا تذكيرٌ من الله ﷻ لعباده بأنه سبحانه وتعالى وحده لا شريك له هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام (قيل من أيام الدنيا) ثم استوى (قيل في اليوم السابع) على العرش ما لكم غير الله من وليٍّ يتولاكم وينصركم ويحفظكم ولا شفيع يشفع لكم إلا بإذنه أفلا تتعظون وتعتبرون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له أيها الناس ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من خلق ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ثم استوى على عرشه في اليوم السابع بعد خلقه السموات والأرض وما بينهما.

وأورد بإسناد حسن عن قَتادة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ في اليوم السابع. يقول: ما لكم أيها الناس إله إلا من فعل هذا الفعل، وخلقَ هذا الخَلْق العجيب في ستة أيام.

وقوله: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ يقول: ما لكم أيها الناس دونه وليّ

يلي أمركم وينصركم منه إن أراد بكم ضرّا، ولا شفيع يشفع لكم عنده إن هو عاقبكم على معصيتكم إياه، يقول: فإياه فاتخذوا وليًّا، وبه وبطاعته فاستعينوا على أموركم؛ فإنه يمنعكم إذا أراد منعكم ممن أرادكم بسوء، ولا يقدر أحد على دفعه عما أراد بكم هو؛ لأنه لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أفلا تعتبرون وتتفكَّرون أيها الناس، فتعلموا أنه ليس لكم دونه وليّ ولا شفيع، فتُفردوا له الألوهة، وتخلصوا له العبادة، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والآلهة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه الخالق للأشياء، فخلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش. وقد تقدم الكلام على ذلك.

﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ أي: بل هو المالك لأزمة الأمور، الخالق لكل شيء، المدبر لكل شيء، القاهر على كل شيء، فلا ولي لخلقه سواه، ولا شفيع إلا من بعد إذنه.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ يعني: أيها العابدون غيره، المتوكلون على من عداه - تعالى وتقدس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك أو نديد، أو وزير أو عديل، لا إله إلا هو ولا ربَّ سواه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وليست ثمَّ للترتيب وإنما هي بمعنى الواو ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ أي: ما للكافرين من ولي يمنع من عذابهم ولا شفيع ويجوز الرفع على الموضع ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ في قدرته ومخلوقاته.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝ ﴾.

ج: الظاهر لي من أقوال أهل العلم فيها – والله أعلم بالصواب – ما يلي:

يُدبر الله ﷻ أمر الخلائق وهو على عرشه وتتنزل الملائكة بهذا الأمر إلى الأرض وإلى الخَلْق ثم تصعد الملائكة بأعمال العباد إلى ربها ﷻ، كل ذلك (وقت التنزل ووقت الصعود في زمن يسير جدًّا لو قُدِّر بأزمنتكم لكان يعدل ألف سنة من السنين التي تحتسبونها في حياتكم، وبهذا جاءت أقوال عدد من أهل العلم).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الله هو الذي يدبر الأمر من أمر خلقه من السماء إلى الأرض، ثم يعرُج إليه.

واختلف أهل التأويل في المعني بقوله: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ فقال بعضهم: معناه: أن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض، ويصعد من الأرض إلى السماء في يوم واحد، وقدَّر ذلك ألف سنة مما تعدّون من أيام الدنيا؛ لأن ما بين الأرض إلى السماء خمسمائة عام، وما بين السماء إلى الأرض مثل ذلك، فذلك ألف سنة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾ من أيامكم ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ يقول: مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة مما تعدّون من أيامكم من أيام الدنيا خمسمائة سنة نزوله، وخمسمائة صعوده فذلك ألف سنة.

وأورد أقوالًا أُخر ثم قال: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من

(٤٠٠) أحمر
أسود

قال: معناه: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه، ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم، خمسمائة في النزول، وخمسمائة في الصعود؛ لأن ذلك أظهر معانيه، وأشبهها بظاهر التنزيل.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ أي: يتنزل أمره من أعلى السموات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

وتُرفع الأعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا، ومسافة ما بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة سنة، وسُمك السماء خمسمائة سنة.

وقال مجاهد، وقتادة، والضحاك: النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام، وصعوده في مسيرة خمسمائة عام، ولكنه يقطعها في طرفة عين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾.



س: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ من الذي يعرج إليه؟

ج: قيل الملك الذي نزل بالأمر كما قال تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: ٤] والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: أن الذي يدبر الأمر من السماء والأرض هو

الله ﷻ العالم بكل شيء، عالم بالظواهر والبواطن عالم ما غاب وما ظهر، وما أُخفي وما أُعلن العزيز الذي لا يُغلب، الرحيم بعباده.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: هذا الذي يفعل ما وصفت لكم في هذه الآيات، هو ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾، يعني عالم ما يغيب عن أبصاركم أيها الناس، فلا تبصرونه مما تكنه الصدور وتخفيه النفوس، وما لم يكن بعد مما هو كائن، ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ يعني: ما شاهدته الأبصار فأبصرته وعاينته وما هو موجود ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ يقول: الشديد في انتقامه ممن كفر به، وأشرك معه غيره، وكذّب رسله ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بمن تاب من ضلالته، ورجع إلى الإيمان به وبرسوله، والعمل بطاعته، أن يعذّبه بعد التوبة.

وقال ابن كثير رحمه الله:

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: المدبر لهذه الأمور الذي هو شهيد على أعمال عباده، يرفع إليه جليلها وحقيرها، وصغيرها وكبيرها -هو ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي قد عَزَّ كلَّ شيء فقهره وغلبه، ودانت له العباد والرقاب، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين. فهو عزيز في رحمته، رحيم في عزته.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي علم ما غاب عن الخلق وما حضرهم وذلك بمعنى أنا حسبما تقدم بيانه في أول البقرة وفي الكلام معنى التهديد والوعيد أي: أخلصوا أفعالكم وأقوالكم فإني أجازي عليها.



(٤٠٢) أحمر
أسود

س: في قوله: ﴿خَلَقَهُۥ﴾ قراءتان وضحهما مع بيان معنيهما.

ج: أما القراءة الأولى فهي ﴿خَلَقَه﴾ بفتح اللام على أنها فعل ماضٍ.

وقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ معناها – والله أعلم –: الذي أحسن الأشياء ولما خلقها أي الذي خلقها حسنة، وقيل: الذي أتقن كل شيء وأحكمه.

أما القراءة الثانية فهي ﴿خَلْقَه﴾ بتسكين اللام والمعنى الذي ألهم كل شيء خَلْقَه والذي أعلم كل شيءٍ خلقه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قراء مكة والمدينة والبصرة﴿أحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ بسكون اللام. وقرأه بعض المدنيين وعامة الكوفيين﴿أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ بفتح اللام.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء صحيحتا المعنى، وذلك أن الله أحكم خلقه، وأحكم كل شيء خلَقه، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: أتقن كلّ شيء وأحكمه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الذي حسن خلق كل شيء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أعلم كل شيء خلقه، كأنهم وجهوا تأويل الكلام إلى أنه ألهم خلقه ما يحتاجون إليه، وأن قوله: ﴿أَحۡسَنَ﴾ إنما هو من قول القائل: فلان يحسن كذا، إذا كان يعلمه.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب على قراءة من قرأه: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ ﴾ بفتح اللام قول من قال: معناه أحكم وأتقن؛ لأنه لا معنى لذلك إذ قُرِئ كذلك إلا أحد وجهين: إما هذا الذي قلنا من معنى الإحكام والإتقان، أو معنى التحسين الذي هو في معنى الجمال والحُسن، فلما كان في خلقه ما لا يشكّ في قُبحه وسماجته، عُلم أنه لم يُعن به أنه أحسن كلّ ما خلق، ولكن معناه أنه أحكمه وأتقن صنعته، وأما على القراءة الأخرى التي هي بتسكين اللام، فإن أولى تأويلاته به قول من قال: معنى ذلك: أعلم وألهم كلّ شيء خلقه، هو أحسنهم، كما قال: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ ﴾ [طه: ٥٠]؛ لأن ذلك أظهر معانيه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩ ﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: أن الله ﷻ هو الذي أحسن خلق كل شيء وبدأ خلق الإنسان الذي هو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ من طين ثم جعل ذريته من ماءٍ ضعيف (وهو المني) ينسل انسلالًا فيخرج من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فينصب في رحم حواء عَلَيْهَا السَّلَامُ وهكذا سائر ذرية آدم الذكور والإناث خُلِقُوا من ماءٍ مهين.

أما قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ ﴾ فهو عائد على قوله وبدأ خلق الإنسان من طين ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ ﴾ أي: وبعد أن خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ من طين سواه، أي جعله سويًّا معتدلًا ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم (يا بني آدم) السمع والأبصار والأفئدة، وقلَّ منكم من يشكر، وإن شكرتم فشكركم قليل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وبدأ خلق آدم من طين﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ يعني: ذريته﴿مِن سُلَٰلَةٍ ﴾، يقول: من الماء الذي انسل فخرج منه. وإنما يعني من إراقة من مائه، كما قال الشاعر:

فجاءتْ بِه عَضْبَ الأدِيمِ غَضَنْفَرًا سُلالَةَ فَرْجٍ كانَ غيرَ حَصِينِ

وقوله: ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ يقول: من نطفة ضعيفة رقيقة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ وهو خلق آدم، ثم جعل نسله: أي ذرّيته من سلالة من ماء مهين، والسلالة هي: الماء المهين الضعيف.

وقال:

في تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم سوّى الإنسان الذي بدأ خلقه من طين خَلْقًا سويًّا معتدلًا ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾ فصار حيًّا ناطقًا ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ يقول: وأنعم عليكم أيها الناس ربكم بأن أعطاكم السمع تسمعون به الأصوات، والأبصار تبصرون بها الأشخاص والأفئدة، تعقلون بها الخير من السوء، لتشكروه على ما وهب لكم من ذلك. وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ يقول: وأنتم تشكرون قليلًا من الشكر ربكم على ما أنعم عليكم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: إنه الذي أحسن خلق الأشياء وأتقنها وأحكمها.

(٤٠٥) أحمر
أسود

وقال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ قال: أحسن خلق كل شيء. كأنه جعله من المقدم والمؤخر.

ثم لما ذكر خلق السموات والأرض، شرع في ذكر خلق الإنسان فقال: ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ يعني: خلق أبا البشر آدم من طين.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ أي: يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ يعني: آدم، لما خلقه من تراب خلقه سويًّا مستقيمًا، ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ﴾، يعني: العقول، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ أي: بهذه القوى التي رزقكموها الله ﷻ، فالسعيد مَنْ استعملها في طاعة ربه عز وجل.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ يعني: آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ تقدم في (المؤمنون) وغيرها. وقال الزجاج: من ماء مهين ضعيف وقال غيره: مهين لا خطر له عند الناس. ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ رجع إلى آدم أي: سوَّى خلقه ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ﴾ ثم رجع إلى ذريته فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ﴾ وقيل: ثم جعل ذلك الماء المهين خلقًا معتدلًا وركَّب فيه الروح وأضافه إلى نفسه تشريفًا وأيضًا فإنه من فعله وخَلْقه كما أضاف العبد إليه بقوله: عبدي وعبَّر عنه بالنفخ؛ لأن الروح في جنس الريح وقد مضى هذا مبينًا في النساء وغيرها ﴿قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ أي: ثم أنتم لا تشكرون بل تكفرون.



(٤٠٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – أن أهل الكفر قالوا مُستنكرين البعث مُنكرين الحساب: أئنذا متنا وصرنا ترابًا وتفرقت أجسادنا هاهنا وهاهنا واختلطت هل سنبعث مرةً ثانية، أحياء بعد الموت، فنعم سيبعثون، ولكنهم جاحدون البعث منكرون الثواب والعقاب منكرون للقاء الله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال المشركون بالله، المُكذّبون بالبعث: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: صارت لحومنا وعظامنا ترابا في الأرض وفيها لغتان: ضَلَلْنَا، وَضَلِلنا. بفتح اللام وكسرها، والقراءة على فتحها وهي الجوداء، وبها نقرأ. وذكر عن الحسن أنه كان يقرأ: ﴿أَءِذَا صَلَلْنَا﴾ بالصاد، بمعنى: أنتنا، من قولنا: صلّ اللحم وأصلّ إذا أنتن. وإنما عنى هؤلاء المشركون بقولهم: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: إذا هلكت أجسادنا في الأرض؛ لأن كلّ شيء غلب عليه غيره حتى خفي فيما غلب، فإنه قد ضلّ فيه، تقول العرب: قد ضلّ الماء في اللبن: إذا غلب عليه حتى لا يتبين فيه، ومنه قول الأخطل لجرير:

كُنْتَ القَذَى في مَوْجِ أكْدَرَ مُزْبِدٍ قَذَفَ الأتِيُّ بِهِ فَضَلَّ ضَلالا

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ قال: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الإسراء: ٤٩].

وقوله: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء المشركين جحود قدرة الله على ما يشاء، بل هم بلقاء ربهم كافرون؛ حذرا لعقابه، وخوف مجازاته إياهم على معصيتهم إياه، فهم من أجل ذلك يجحدون لقاء ربهم في المعاد.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في استبعادهم المعاد حيث قالوا: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تمزقت أجسامنا وتفرقت في أجزاء الأرض وذهبت، ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؟ أي: أئنا لَنَعُودُ بعد تلك الحال؟! يستبعدون ذلك، وهذا إنما هو بعيد بالنسبة إلى قُدْرَتهم العاجزة، لا بالنسبة إلى قُدْرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم، الذي إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون؛ ولهذا قال: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ أي ليس لهم جحود قدرة الله تعالى عن الإعادة لأنهم يعترفون بقدرته ولكنهم اعتقدوا أن لا حساب عليهم وأنهم لا يلقون الله تعالى.



س: هل ملك الموت له أعوان أم لا؟

ج: نعم له أعوان، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: ٦١] وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ [النازعات: ١-٢].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾.

ظاهر هذه الآية الكريمة أن الذي يقبض أرواح الناس ملك واحد معين، وهذا هو المشهور، وقد جاء في بعض الآثار أن اسمه عزرائيل.

وقد بيَّن تعالى في آيات أُخر أن الناس تتوفّاهم ملائكة لا ملك واحد؛

كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [النساء: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ﴾ الآية [الأنعام: ٩٣]، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنعام: ٦١] إلى غير ذلك من الآيات.

وإيضاح هذا عند أهل العلم: أن الموكل بقبض الأرواح ملك واحد، هو المذكور هنا، ولكن له أعوان يعملون بأمره ينتزعون الروح إلى الحلقوم، فيأخذها ملك الموت، أو يعينونه إعانة غير ذلك.

وقد جاء في حديث البراء بن عازب الطويل المشهور: أن النبيّ ﷺ ذكر فيه: «**أن ملك الموت إذا أخذ روح الميت أخذها من يده بسرعة ملائكة فصعدوا بها إلى السماء**»، وقد بيَّن فيه ﷺ ما تعامل به روح المؤمن وروح الكافر بعد أخذ الملائكة له من ملك الموت حين يأخذها من البدن، وحديث البراء المذكور صححه غير واحد، وأوضح ابن القيّم في كتاب «الروح»، بطلان تضعيف ابن حزم له.

والحاصل: أن حديث البراء المذكور، دلَّ على أن مع ملك الموت ملائكة آخرين يأخذون من يده الروح، حين يأخذه من بدن الميّت. وأمّا قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢]، فلا إشكال فيه؛ لأن الملائكة لا يقدرون أن يتوفّوا أحدًا إلاّ بمشيئته جلَّ وعلا: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

فتحصل: أن إسناد التوفي إلى ملك الموت في قوله هنا: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾، لأنه هو المأمور بقبض الأرواح، وأن إسناده للملائكة في

قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ الآية، ونحوها من الآيات؛ لأن لملك الموت أعوانًا يعملون بأمره، وأن إسناده إلى الله في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾، لأن كل شيء كائنًا ما كان لا يكون إلا بقضاء الله وقدره، والعلم عند الله تعالى.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – قل يا رسول الله لهؤلاء المنكرين للبعث المنكرين للقاء الله ﷻ يقبض أرواحكم ملك الموت عند انقضاء آجالكم، فقد وكِّل ملك الموت بذلك وكل بقبض الأرواح عند انقضاء الآجال، وقد قيل إن ملك الموت اسمه عزرائيل، ولم يثبت بذلك خبرٌ عن النبي ﷺ، هذا، ولملك الموت أعوان كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾.

هذا، وبعد أن يقبض ملك الموت أرواحكم وتموتوا وتقوم قيامتكم ترجعون إلى ربكم ﷻ فيجازى المحسن بإحسانه ويجازى المسيء بإساءته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾، يقول: يستوفي عددكم بقبض أرواحكم ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم، ومنه قول الراجز:

إِنَّ بَنِي الأَدْرَمِ لَيْسُوا مِنْ أَحَدْ   وَلا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي العَدَدْ

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ يقول: من بعد قبض ملك الموت أرواحكم إلى

ربكم يوم القيامة، تردون أحياء كهيئتكم قبل وفاتكم فيجازي المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ قال: ملك الموت يتوفاكم، ومعه أعوان من الملائكة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ ، الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة، كما هو المتبادر من حديث البراء المتقدم ذكره في سورة «إبراهيم»، وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل، وهو المشهور، قاله قتادة وغير واحد، وله أعوان. وهكذا ورد في الحديث أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد، حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت.

وقال: وقوله ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أي: يوم معادكم وقيامكم عن قبوركم لجزائكم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن عطية بعد ذكره الحديث: وكذلك الأمر في بني آدم إلا أنه نوع شرف بتصرف ملك وملائكة معه في قبض أرواحهم فخلق الله تعالى ملك الموت وخلق على يديه قبض الأرواح واستلالها من الأجسام وإخراجها منها وخلق الله تعالى جندا يكونون معه يعلمون عمله بأمره فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ [الأنفال: ٥٠] وقال تعالى: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ [الأنعام: ٦١] وقد مضى هذا المعنى في الأنعام والبارئ خالق الكل الفاعل حقيقة لكل فعل قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى

(٤١١) أحمر
أسود

مَنَامِهَاۖ﴾ [الزمـــــر: ٤٢] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملـــك: ٢] ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾ [الأعراف: ١٥٨] فملك الموت يقبض والأعوان يعالجون والله تعالى يزهق الروح وهذا هو الجمع بين الآي والحديث لكنه لما كان ملك الموت متولي ذلك بالوساطة والمباشرة أضيف التوفي إليه كما أضيف الخلق للملك.



قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا
فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا
وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟
بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ
أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ
﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ
لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾

[السجدة: ١٢-٢٠]

(٤١٣) أحمر
أسود

س: وضِّح معنى ما يلي:

﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ - أَبْصَرْنَا - وَسَمِعْنَا - مُوقِنُونَ - هُدَىٰهَا - حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي - نَسِيتُمْ - نَسِينَٰكُمْ - خَرُّواْ سُجَّدًا - تَتَجَافَىٰ - ٱلْمَضَاجِعِ - خَوْفًا - وَطَمَعًا - قُرَّةِ أَعْيُنٍ - فَاسِقًا - جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ - فَمَأْوَىٰهُمُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ﴾	خافضوا رءوسهم (خجلًا وحياءً وحُزنًا)
﴿أَبْصَرْنَا﴾	رأينا الحق
﴿وَسَمِعْنَا﴾	سمعنا الحق
﴿مُوقِنُونَ﴾	متيقنون – قد أيقنا
﴿هُدَىٰهَا﴾	إيمانها – توفيقها للخير والإيمان
﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾	وجب قولي (على الكفار) وتحقق فيهم مرادي
﴿نَسِيتُمْ﴾	تركتم العمل
﴿نَسِينَٰكُمْ﴾	تركناكم في العذاب
﴿خَرُّواْ سُجَّدًا﴾	نزلوا من القيام للسجود (وهووا إليه)
﴿تَتَجَافَىٰ﴾	تتنحى – تبتعد – أماكن النوم
﴿خَوْفًا﴾	خوفًا من غضبه وناره
﴿وَطَمَعًا﴾	طمعًا في رضاه وجنته
﴿قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾	ما تستقر به الأعين فلا تنظر إلى شيء آخر

﴿فَاسِقًا﴾	خارجًا على الطاعة – كافرًا (وهو المراد هنا)
﴿جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾	جنات الإقامة الدائمة التي يأوون إليها
﴿فَمَأۡوَىٰهُمُ﴾	فمصيرهم الذي يصيرون إليه



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – ولو ترى يا رسول الله، وكذا ولو ترى يا ابن آدم أهل الإجرام الذين كانوا في الدنيا أهل إجرام، وما آل إليه أمرهم يوم القيامة لرأيت منظرًا عجيبًا ولرأيت أحوالًا مهولةً تراهم خافضوا رؤوسهم حياءً وخجلًا من الله ﷻ يقولون: يا ربنا قد أبصرنا الحق الذي كنا في الدنيا لا نراه وسمعناه كذلك فيا ربنا ردنا إلى الحياة الدنيا كي نعمل أعمالًا صالحة تنجينا من عذابك فقد أيقنا أن قولك الحق ووعدك الحق.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لو ترى يا محمد هؤلاء القائلين: ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ﴾ إذ هم ناكسوا رءوسهم عند ربهم حياء من ربهم. للذي سلف منهم من معاصيه في الدنيا، يقولون: يا ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا﴾ ما كنا نكذِّب به من عقابك أهل معاصيك ﴿وَسَمِعۡنَا﴾ منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا ﴿فَٱرۡجِعۡنَا﴾ يقول: فارددنا إلى الدنيا نعمل فيها بطاعتك، وذلك العمل الصالح ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ يقول: إنا قد أيقنا الآن ما كنا به في الدنيا جهالا من وحدانيتك وأنه لا يصلح أن يُعبد سواك، ولا ينبغي أن يكون رب سواك، وأنك تحيي وتميت، وتبعث من في القبور بعد الممات والفناء وتفعل

ما تشاء.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة، وحالهم حين عاينوا البعث، وقاموا بين يدي الله حقيرين ذليلين، ناكسي رؤوسهم، أي: من الحياء والخجل، يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا ﴾ أي: نحن الآن نسمع قولك ونطيع أمرك، كما قال تعالى: ﴿ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا ﴾ [مريم: ٣٨]. وكذلك يعودون على أنفسهم بالملامة إذا دخلوا النار بقولهم: ﴿لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠] . وهكذا هؤلاء يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا ﴾ أي: إلى الدار الدنيا، ﴿ نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ أي: قد أيقنا وتحققنا أن وعدك حق ولقاءك حق، وقد علم الرب تعالى منهم أنه لو أعادهم إلى الدار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفارًا يكذبون آيات الله ويخالفون رسله، كما قال: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٧-٢٩] .

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ ابتداء وخبر قال الزجاج : والمخاطبة للنبي ﷺ مخاطبة لأمته والمعنى : ولو ترى يا محمد منكري البعث يوم القيامة لرأيت العجب، ومذهب أبي العباس غير هذا وأن يكون المعنى : يا محمد قل للمجرم ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم لندمت على ما كان منك. ناكسو رءوسهم أي: من الندم والخزي والحزن والذل والغم عند ربهم أي: عند محاسبة ربهم وجزاء أعمالهم ربنا

(٤١٦) أحمر
أسود

أي: يقولون ربنا (أَبْصَرْنَا) أي: أبصرنا ما كنا نكذب وسمعنا ما كنا ننكر وقيل: أبصرنا صدق وعيدك وسمعنا تصديق رسلك أبصروا حين لا ينفعهم البصر وسمعوا حين لا ينفعهم السمع فأرجعنا أي: إلى الدنيا ﴿ نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي: مصدقون بالبعث قاله النقاش وقيل: مصدقون بالذي جاء به محمد ﷺ أنه حق قاله يحيى بن سلام قال سفيان الثوري : فأكذبهم الله تعالى فقال : ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٨] وقيل : معنى إنا موقنون أي: قد زالت عنا الشكوك الآن وكانوا يسمعون ويبصرون في الدنيا ولكن لم يكونوا يتدبرون وكانوا كمن لا يبصر ولا يسمع فلما تنبهوا في الآخرة صاروا حينئذ كأنهم سمعوا وأبصروا وقيل : أي ربنا لك الحجة فقد أبصرنا رسلك وعجائب خلقك في الدنيا وسمعنا كلامهم فلا حجة لنا فهذا اعتراف منهم ثم طلبوا أن يردوا إلى الدنيا ليؤمنوا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

ج: المعنى –والله أعلم– ولو شئنا لجعلنا الخلق كلهم مؤمنين أهل إيمانٍ ولأعطينا كل نفس تقواها كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس: ٩٩]، وكما قال تعالى: ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [الرعد: ٣١]، ولكن حق القول مني، ذلكم القول الذي قلته والقضاء الذي قضيته قبل أن أخلق الخلق ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا ﴾ يا محمد﴿لَءَاتَيْنَا ﴾ هؤلاء المشركين بالله

من قومك وغيرهم من أهل الكفر بالله ﴿هُدَىٰهَا﴾ يعني: رشدها وتوفيقها للإيمان بالله ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾ يقول: وجب العذاب مني لهم، وقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ يعني: من أهل المعاصي والكفر بالله منهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ قال: لو شاء الله لهدى الناس جميعًا، لو شاء الله لأنزل عليهم من السماء آية، فظلت أعناقهم لها خاضعين، ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾ حقَّ القول عليهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال هاهنا: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩].

﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: من الصنفين، فدارهم النار لا محيد لهم عنها ولا محيص لهم منها، نعوذ بالله وكلماته التامة من ذلك.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٤﴾.

ج: المعنى – والله أعلم- فذوقوا العذاب بما تركتم العمل ليومكم هذا، فإنا تركناكم في العذاب وأهملناكم كما أهملتم أنفسكم وتركتم تقويمها في الدنيا أو تركتم آياتي، فالجزاء من جنس العمل كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٦].

هذا قوله تعالى: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حاصل معناه:

وذوقوا عذاب النار التي تخلدون فيها جزاءً على سيء أعمالكم التي عملتموها في دنياكم والتي منها شرككم بالله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يقال لهؤلاء المشركين بالله إذا هم دخلوا النار: ذوقوا عذاب الله بما نسيتم لقاء يومكم هذا في الدنيا، ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ يقول: إنا تركناكم اليوم في النار.

وقوله: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ يقول: يقال لهم أيضا: ذوقوا عذابا تخلدون فيه إلى غير نهاية ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ في الدنيا ﴿تَعْمَلُونَ﴾ من معاصي الله.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ قال: نسوا من كل خير، وأما الشر فلم ينسوا منه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ أي: يقال لأهل النار على سبيل التقريع والتوبيخ: ذوقوا العذاب بسبب تكذيبكم به، واستبعادكم وقوعه، وتناسيكم له؛ إذ عاملتموه معاملة من هو ناس له، ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ أي: سنعاملكم معاملة الناسي؛ لأنه تعالى لا ينسى شيئًا ولا يضل عنه شيء، بل من باب المقابلة، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الجاثية: ٣٤].

وقوله: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: بسبب كفركم وتكذيبكم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ: ٢٤-٣٠].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم– إنما يُصدِّق بآياتنا تمام التصديق الذين إذا ذُكِّروا بهذه الآيات خروا سجدًا لربهم ﷻ مسبِّحين بحمده قد نزهوه عن كل ما لا يليق، ومزجوا ذلك بالحمد، يفعلون ذلك متواضعين لله متذللين له ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما يصدق بحججنا وآيات كتابنا إلا القوم الذين إذا ذكروا بها ووعظوا ﴿خَرُّوا﴾ لله ﴿سُجَّدًا﴾ لوجوههم، تذلُّلا له، واستكانة لعظمته، وإقرارًا له بالعبوديَّة ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يقول: وسبحوا الله في سجودهم بحمده، فيبرئونه مما يصفه أهل الكفر به، ويضيفون إليه من الصاحبة والأولاد والشركاء والأنداد ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يقول: يفعلون ذلك، وهم لا يستكبرون عن السجود له والتسبيح، لا يستنكفون عن التذلُّل له والاستكانة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ أي: إنما يصدق بها ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ أي: استمعوا لها وأطاعوها قولًا وفعلًا ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن اتباعها والانقياد لها، كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.
[غافر:٦٠]

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: خلطوا التسبيح بالحمد أي: نزهوه وحمدوه فقالوا في سجودهم: سبحان الله وبحمده سبحان ربي الأعلى وبحمده أي:

تنزيهًا لله تعالى عن قول المشركين وقال سفيان: وسبحوا بحمد ربهم أي: صلوا حمدا لربهم ﴿ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ عن عبادته قاله يحيى بن سلام النقاش: لا يستكبرون كما استكبر أهل مكة عن السجود.



س: هل في هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا ﴾ سجود تلاوة؟

ج: ليُعلم أولًا أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر ألم تنزيل السجدة، وهل أتى على الإنسان[(١)].

ولكن هل كان النبي ﷺ يسجد عند قراءتها في فجر الجمعة أم لا؟ لم أقف على جزء ثابت في ذلك لكن قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[(٢)]: قال ابن بطال: أجمعوا على السجود فيها، وإنما اختلفوا في السجود بها في الصلاة.

وقال أيضًا في كتاب الجمعة[(٣)].

(فَائِدَتَانِ) الْأُولَى: لَمْ أَرَ فِي شَيْء مِنْ الطُّرُق التَّصْرِيح بِأَنَّهُ ﷺ سَجَدَ لَمَّا قَرَأَ سُورَة تَنْزِيل السَّجْدَة فِي هَذَا الْمَحَل إِلَّا فِي كِتَاب الشَّرِيعَة لِابْنِ أَبِي دَاوُدَ مِنْ طَرِيق أُخْرَى عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «غَدَوْت عَلَى النَّبِيّ ﷺ يَوْم الْجُمُعَة فِي صَلَاة الْفَجْر فَقَرَأَ سُورَة فِيهَا سَجْدَة فَسَجَدَ» الْحَدِيث، وَفِي إِسْنَاده مَنْ يُنْظَر فِي حَاله. ولِلطَّبَرَانِيِّ فِي الصَّغِير مِنْ حَدِيث عَلِيّ «أَنَّ النَّبِيّ ﷺ سَجَدَ فِي صَلَاة الصُّبْح فِي تَنْزِيل السَّجْدَة» لَكِنْ فِي إِسْنَاده ضَعْف[(٤)].

(١) البخاري (٨٩١).
(٢) فتح الباري (٢/ ٦٤٢).
(٣) فتح (٢/ ٤٤٠).
(٤) أخرجه الطبراني في الصغير (١/ ١٧٠)، وفي سنده ضعف ولفظه عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ سجد في صلاة الصبح بتنزيل السجدة. =

الثَّانِيَة: قِيلَ الْحِكْمَة فِي اِخْتِصَاص يَوْم الْجُمُعَة بِقِرَاءَةِ سُورَة السَّجْدَة قَصْد السُّجُود الزَّائِد حَتَّى أَنَّهُ يُسْتَحَبّ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأ هَذِهِ السُّورَة بِعَيْنِهَا أَنْ يَقْرَأ سُورَة غَيْرهَا فِيهَا سَجْدَة، وَقَدْ عَابَ ذَلِكَ عَلَى فَاعِله غَيْرُ وَاحِد مِنْ الْعُلَمَاء، وَنَسَبَهُمْ صَاحِب الْهَدْي إِلَى قِلَّة الْعِلْم وَنَقْص الْمَعْرِفَة، لَكِنْ عِنْد اِبْن أَبِي شَيْبَة بِإِسْنَادٍ قَوِيّ عَنْ إِبْرَاهِيم النَّخَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: يُسْتَحَبّ أَنْ يَقْرَأ فِي الصُّبْح يَوْم الْجُمُعَة بِسُورَةٍ فِيهَا سَجْدَة. وَعِنْده مِنْ طَرِيقه أَيْضًا أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَرَأَ سُورَة مَرْيَم. وَمِنْ طَرِيق اِبْن عَوْن قَالَ: كَانُوا يَقْرَءُونَ فِي الصُّبْح يَوْم الْجُمُعَة بِسُورَةٍ فِيهَا سَجْدَة. وَعِنْده مِنْ طَرِيقه أَيْضًا قَالَ: وَسَأَلْت مُحَمَّدًا - يَعْنِي اِبْن سِيرِينَ - عَنْهُ فَقَالَ لَا أَعْلَم بِهِ بَأْسًا. اهـ.

فَهَذَا قَدْ ثَبَتَ عَنْ بَعْض عُلَمَاء الْكُوفَة وَالْبَصْرَة فَلَا يَنْبَغِي الْقَطْع بِتَزْيِيفِهِ. وَقَدْ ذَكَرَ النَّوَوِيّ فِي زِيَادَات الرَّوْضَة هَذِهِ الْمَسْأَلَة وَقَالَ: لَمْ أَرَ فِيهَا كَلَامًا لِأَصْحَابِنَا، ثُمَّ قَالَ: وَقِيَاس مَذْهَبنَا أَنَّهُ يُكْرَه فِي الصَّلَاة إِذَا قَصَدَهُ اهـ. وَقَدْ أَفْتَى اِبْن عَبْد السَّلَام قَبْله بِالْمَنْعِ وَبِبُطْلَانِ الصَّلَاة بِقَصْدِ ذَلِكَ، قَالَ صَاحِب الْمُهِمَّات: مُقْتَضَى كَلَام الْقَاضِي حُسَيْن الْجَوَاز. وَقَالَ الْفَارِقِيّ فِي فَوَائِد الْمُهَذَّب: لَا تُسْتَحَبّ قِرَاءَة سَجْدَة غَيْر تَنْزِيل، فَإِنْ ضَاقَ الْوَقْت عَنْ قِرَاءَتهَا قَرَأَ بِمَا أَمْكَنَ مِنْهَا وَلَوْ بِآيَةِ السَّجْدَة مِنْهَا، وَوَافَقَهُ اِبْن أَبِي عَصْرُون فِي كِتَاب الِانْتِصَار وَفِيهِ نَظَرٌ.



= وهناك حديث عن ابن عمر أن النبي ﷺ سجد في صلاة الظهر ثم قام فركع فرأينا أنه قرأ تنزيل السجدة. أخرجه أبو داود (٨٠٧)، وأحمد (٢/ ٨٣)، وغيرهما وفي سنده انقطاع أو جهالة راو يُقال له أمية.

(٤٢٢) أحمر
أسود

مباحث في السجود
فضل السجود

س: اذكر بعض الوارد في فضل السجود.

ج: من ذلك ما يلي:

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ؛ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِي النَّارُ»(١).

وعنه أيضًا: أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟.... وفيه: «**حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ**»(٢).

حديث ثَوْبَانَ وأبي الدرداء رضي الله عنهما: عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ قَالَ: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللهُ بِهِ الْجَنَّةَ. أَوْ قَالَ: قُلْتُ: بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ. فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً**». قَالَ مَعْدَانُ: ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ لِي ثَوْبَانُ(٣).

عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ

---

(١) مسلم (٨١).
(٢) البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).
(٣) مسلم (٤٨٨).

فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ». فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[(١)].

وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[(٢)].



حكم سجود التلاوة

س: هل سجود التلاوة مستحب أو واجب؟

ج: سجود التلاوة مستحب عند جمهور العلماء.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

أولًا: أن النبي ﷺ سجد عند قراءة السجدة من سورة النجم فسجد، وقرأ الآية في موطن آخر فلم يسجد.

أما كونه سجد فيها ففي الصحيحين[(٣)] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم فسجد بها فما بقي أحدٌ من القوم إلا سجد فأخذ رجل من القوم كفًّا من حصى أو تراب فرفعه إلى وجهه وقال: يكفيني هذا قال ابن مسعود: «فلقد رأيته بعد قُتل كافرًا».

وأخرج البخاري[(٤)] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٧٠)، ومسلم (٥٧٦).

(٤) البخاري (١٠٧١).

أما كونه لم يسجد فيها ففي الصحيحين[(١)] من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قرأت على النبي ﷺ (والنجم) فلم يسجد فيها.

أما الدليل الثاني على عدم وجوب سجود التلاوة فما أخرجه البخاري[(٢)] من طريق رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْهُدَيْرِ التَّيْمِيِّ - قَالَ أَبُو بَكْرٍ (ابن أبي مليكة) وَكَانَ رَبِيعَةُ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ - عَمَّا حَضَرَ رَبِيعَةُ مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَرَأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ بِسُورَةِ النَّحْلِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ السَّجْدَةَ نَزَلَ فَسَجَدَ وَسَجَدَ النَّاسُ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ الْجُمُعَةُ الْقَابِلَةُ قَرَأَ بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَ السَّجْدَةَ نَزَلَ فَسَجَدَ وَسَجَدَ النَّاسُ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا نَمُرُّ بِالسُّجُودِ فَمَنْ سَجَدَ فَقَدْ أَصَابَ، وَمَنْ لَمْ يَسْجُدْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ. وَلَمْ يَسْجُدْ عُمَرُ رضي الله عنه، وَزَادَ نَافِعٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: إِنَّ اللهَ لَمْ يَفْرِضْ عَلَينَا السُّجُودَ إِلَّا أَنْ نَشَاءَ.

أما الدليل الثالث على عدم وجوب سجدة التلاوة فهو قول رسول الله ﷺ للأعرابي لما سأله عن الصلوات المفروضة فقال: «**خمس صلوات في اليوم والليلة**» قال: هل عليَّ غيرهن، قال: «**لا إلا أن تطوع**»[(٣)].

هذا، وبالاستحباب قال جمهور العلماء كما نقله عنهم النووي في التبيان في آداب حملة القرآن هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى الوجوب كالأحناف حيث نقله عنهم الطحاوي في شرح معاني الآثار[(٤)].

واستدلوا بالعمومات كقوله تعالى: ﴿فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ ۩﴾ [النجم: ٦٢]، وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩﴾ [الانشقاق: ٢١].

(١) البخاري (١٠٧٣)، ومسلم (٥٧٧).
(٢) البخاري (١٠٧٧).
(٣) البخاري (١٠٧٣)، ومسلم (٥٧٧).
(٤) (١/ ٣٥٥).

وبحديث أبي هريرة الوارد في فضل السجود، وقد تقدم عند مسلم وفيه قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ؛ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِي النَّارُ».

وأجيب على الآيات بأن المراد بقوله: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ۩﴾ يتحقق بسجود الصلاة المفروضة وكذا سائر الأوامر والله أعلم.

❁ ❁ ❁

السجود والطهارة

س: هل تشترط الطهارة لسجود التلاوة؟

ج: ذهب جمهور أهل العلم إلى اشتراط الطهارة لسجود التلاوة قياسًا على الصلاة، بل وادعى بعضهم أن الإجماع منعقدٌ على ذلك.

قال ابن عبد البر[1]: إجماع من الفقهاء أنه لا يسجد أحدٌ سجدة التلاوة إلا على طهارة.

ونفى ابن قدامة والقرطبي الخلاف في أن سجود القرآن يحتاج إلى ما تحتاج إليه الصلاة من طهارة حدث ونجس ونية واستقبال قبلة ووقت.

هذا، والإجماع المنقول فيه نظر، فقد ذهب ابن حزم وابن تيمية والصنعاني والشوكاني وآخرون إلى أنه لا يلزم الوضوء لسجود التلاوة، واستدلوا بأدلة منها أن النبي ﷺ لما قرأ سورة النجم وبلغ قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ۩﴾، سجد وسجد جميع من كانوا معه من المسلمين والمشركين والجن... الحديث، وقد تقدم.

قالوا: ويبعد أن يكون الجميع على وضوء وأُجيب على هذا بأن الوضوء

(١) الاستذكار (٨/ ١١٠).

لم يكن فرض آنذاك.

واستدلوا أيضًا بحديث صلاة الليل مثنى مثنى، والسجدة ليست كذلك فليست بداخلة في أحكام الصلاة، وثم استدلالات أخر.

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ(١):

وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَالسُّجُودُ فِيهِ وَمَسُّ الْمُصْحَفِ وَذِكْرُ اللهِ تَعَالَى جَائِزٌ، كُلُّ ذَلِكَ بِوُضُوءٍ وَبِغَيْرِ وُضُوءٍ وَلِلْجُنُبِ وَالْحَائِضِ.

بُرْهَانُ ذَلِكَ أَنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ وَالسُّجُودَ فِيهِ وَمَسَّ الْمُصْحَفِ وَذِكْرَ اللهِ تَعَالَى أَفْعَالُ خَيْرٍ مَنْدُوبٌ إلَيْهَا مَأْجُورٌ فَاعِلُهَا، فَمَنْ ادَّعَى الْمَنْعَ فِيهَا فِي بَعْضِ الأَحْوَالِ كُلِّفَ أَنْ يَأْتِيَ بِالْبُرْهَانِ.

وَأَمَّا سُجُودُ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ لَيْسَ صَلاَةً أَصْلاً.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعلى هذا «أي: سجدة التلاوة» فليست صلاة فلا تشترط لها شروط الصلاة بل تجوز على غير طهارة، كما كان ابن عمر يسجد على غير طهارة لَكِنْ هِيَ بِشُرُوطِ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُخِلَّ بِذَلِكَ إلَّا لِعُذْرٍ.

فَالسُّجُودُ بِلَا طَهَارَةٍ خَيْرٌ مِنْ الْإِخْلَالِ بِهِ وَعَلَى هَذَا تَرْجَمَ الْبُخَارِيُّ فَقَالَ: (بَابُ سَجْدَةِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكُ نَجِسٌ لَيْسَ لَهُ وُضُوءٌ...).

وذكر أثر ابن عمر وحديث ابن مسعود.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ جِنْسَ الْعِبَادَةِ لَا تُشْتَرَطُ لَهُ الطَّهَارَةُ بَلْ إنَّمَا تُشْتَرَطُ لِلصَّلَاةِ. فَكَذَلِكَ جِنْسُ السُّجُودِ يُشْتَرَطُ لِبَعْضِهِ وَهُوَ السُّجُودُ الَّذِي لِلَّهِ كَسُجُودِ الصَّلَاةِ وَسَجْدَتَيْ السَّهْوِ بِخِلَافِ سُجُودِ التِّلَاوَةِ وَسُجُودِ الشُّكْرِ وَسُجُودِ الْآيَاتِ.

---

(١) المحلى (١/ ٧٩).

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ أَخْبَرَ عَنْ سُجُودِ السَّحَرَةِ لَمَّا آمَنُوا بِمُوسَى عَلَى وَجْهِ الرِّضَا بِذَلِكَ السُّجُودِ وَلَا رَيْبَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُتَوَضِّئِينَ وَلَا يَعْرِفُونَ الْوُضُوءَ . فَعُلِمَ أَنَّ السُّجُودَ الْمُجَرَّدَ لِلَّهِ مِمَّا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ مُتَوَضِّئًا وَشَرْعُ مَنْ قَبْلَنَا شَرْعٌ لَنَا مَا لَمْ يَرِدْ شَرْعُنَا بِخِلَافِهِ.

وَهَذَا سُجُودُ إيمَانٍ وَنَظِيرُهُ «الَّذِينَ أَسْلَمُوا فَاعْتَصَمُوا بِالسُّجُودِ...» وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ اللهَ أَمَرَ بَنِي إسْرَائِيلَ أَنْ يَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَيَقُولُوا : حِطَّةٌ . وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِوُضُوءِ وَلَا كَانَ الْوُضُوءُ مَشْرُوعًا لَهُمْ.

بَلْ هُوَ مِنْ خَصَائِصِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ وَسَوَاءٌ أُرِيدَ السُّجُودُ بِالْأَرْضِ أَوْ الرُّكُوعُ ....

وَأَيْضًا: فَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَنْ الْأَنْبِيَاءِ بِالسُّجُودِ الْمُجَرَّدِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾ [مريم: ٥٨] إلى قوله: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ وَلَمْ يَكُونُوا مَأْمُورِينَ بِالْوُضُوءِ. اهـ.

وقال الصنعاني[(١)]**:**

واختلفوا أيضًا هل يشترط فيها ما يشترط في الصلاة من الطهارة وغيرها فاشترط ذلك جماعة وقال قوم لا يشترط... **ثم قال:** والأصل أنه لا يشترط الطهارة إلا بدليل وأدلة وجوب الطهارة وردت للصلاة والسجدة لا تسمى صلاة فالدليل على من شرط ذلك.

وقال الشوكاني[(٢)]**:**

ليس في أحاديث سجود التلاوة ما يدل على اعتبار أن يكون الساجد متوضئًا وقد كان يسجد معه ﷺ من حضر تلاوته ولم ينقل أنه أمر أحدًا منهم

(١) سبل السلام (١/ ٣٥٤).
(٢) نيل الأوطار (٥/ ٣٤٧).

(٤٢٨) أحمر
أسود

بالوضوء ويبعد أن يكونوا جميعًا متوضئين، وأيضًا قد كان يسجد معه المشركون كما تقدم وهم أنجاس لا يصح وضوؤهم.

قلت: فالحاصل أن أكثر العلماء على إيجاب الوضوء لسجود التلاوة قياسًا على الصلاة والقائلون بعدم اعتبار القياس، أو القائلون بأن القياس هنا لا يتم قالوا بجواز السجود بلا وضوء.

وليس في المسألة دليل واضح يدل على إيجاب الوضوء لسجود التلاوة، والله أعلم.



س: هل للحائض أن تسجد للتلاوة؟

ج: ذهب الجمهور من أهل العلم إلى أن الحائض لا تسجد سجدة التلاوة قياسًا منهم للسجود على الصلاة، واشتراطهم للسجود ما يشترط للصلاة على ما قد تقدم.

بينما ذهب بعض أهل العلم إلى جواز ذلك لها وقد بينا بعض أدلتهم فيما سبق كسجود من سجد مع رسول الله ﷺ لما قرأ آية النجم ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩﴾ ويبعد أن يكون الجميع على وضوء، وكذا فقد ورد عن الزهري وقتادة القول بأنها: تسجد[1].



(١) انظر مصنف عبد الرزاق (١/ ٣٢١).

المستمع وسجود التلاوة

س: هل يشرع للمستمع أن يسجد للتلاوة؟

ج: نعم يشرع له أن يسجد للتلاوة لأثر ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يقرأ علينا السورة فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد أحدُنا موضع جبهته[١].

❁ ❁ ❁

التكبير لسجود التلاوة

س: هل يُكبر الشخص عند الهوي لسجود التلاوة؟

ج: ذهب جمهور أهل العلم إلى مشروعية التكبير لسجود التلاوة مستدلين بحديث ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ علينا القرآن، فإذا مرَّ بالسجدة كبر وسجد وسجدنا إلا أن هذا الحديث ضعيف الإسناد[٢].

واستدلوا أيضًا بالقياس على الصلاة المعتادة فالشخص فيها يكبر عند كل خفضٍ ورفع والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل يشرع للشخص أن يقرأ سورة فيها سجدة تلاوة في الصلاة السرية؟

ج: إذا كان المصلي يصلي صلاة سرية منفردًا فلا بأس.

أما إذا كان إمامًا فيرى جمهور العلماء أن ذلك يكره له لما يُحدثه هذا الصنيع من التباس عند المصلين.

بينما ذهب بعض أهل العلم[٣] إلى جواز ذلك بلا كراهة؛ منهم الإمام الشافعي رحمه الله، ومن أدلتهم حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سجد في صلاة

---

(١) البخاري (١٠٧٥).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤١٣)، وفي إسناده عبد الله بن عمر العمري (مكبر الاسم مصغر في الرواية).

(٣) انظر فتح الباري (٢/ ٦٥١)، وابن قدامة في المغني (٢/ ٣٧١).

(٤٣٠) أحمر
أسود

الظهر، ثم قام فركع، فرأينا أنه قرأ تنزيل السجدة إلا أن الحديث ضعيف[(١)].

❁ ❁ ❁

العاجز عن سجدة التلاوة

س: ماذا يفعل من قرأ آية السجدة أو استمعها ولم يستطع السجود لكونه كان ماشيًا أو راكبًا ولم يستطع السجود؟

ج: الذي يظهر لي -والله تعالى أعلم- أنه يومئ برأسه، فالنبي ﷺ كان يصلي النافلة على الراحلة في السفر أينما توجهت يُومئ[(٢)].

فالسجود من باب أولى.

ثم إن الله ﷻ قال: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦].



س: إذا قرأ الشخص آيةً فيها سجدة وهو جالس هل يقوم كي يسجد للتلاوة من قيامٍ أم أنه يسجد من جلوسه؟

ج: الظاهر – والله أعلم-: أنه يسجد من جلوسه، إذ لا يوجد دليل مُلزم بأن يسجد من قيام، ثم إن رسول الله ﷺ لما سجد عند قراءة آية النجم ﴿ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ ﴾ وسجد مَنْ كانوا معه لم يرد أنهم قاموا للسجود، وكذا عمر لما نزل من على المنبر فسجد بالناس (الذي يستمعون الخطبة) لم يرد أنهم قاموا وسجدوا فالأظهر والله أعلم أن الأمر في ذلك واسع والأقرب أن يسجد من جلوسٍ ولا يُلزم بقيامٍ والله أعلم.

هل لسجود التلاوة ذكر مخصوص؟

س: هل هناك ذكرٌ معين يُقال في سجود التلاوة؟

---

(١) أخرجه أبو داود (٨٠٧)، وفي سنده ضعف أشرت إليه قريبًا.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٩٦)، ومسلم (٧٠٠).

ج: لا أعلم خبرًا صحيحًا عن رسول الله ﷺ في ذلك؛ وإنما هي سجدةٌ كسائر السجدات يُقال فيها ما يُقال في سائر السجدات.

هذا، وقد وردت في هذا الصدد أحاديث في أسانيدها ضعف، منها حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي سُجُودِ الْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ يَقُولُ فِي السَّجْدَةِ مِرَارًا: «**سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ**»(١).

وفي رواية ابن خزيمة: يقول ذلك ثلاث مرات. وفي رواية الحاكم: «**فتبارك الله أحسن الخالقين**».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي رَأَيْتُنِي اللَّيْلَةَ وَأَنَا نَائِمٌ كَأَنِّي أُصَلِّي خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَسَجَدْتُ فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي فَسَمِعْتُهَا وَهِيَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ.

قَالَ الْحَسَنُ: قَالَ لِي ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ لِي جَدُّكَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ سَجْدَةً ثُمَّ سَجَدَ. قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ مِثْلَ مَا أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ عَنْ قَوْلِ الشَّجَرَةِ(٢).

وهناك قولٌ لبعض أهل العلم أنه يتلو قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٨].

هل يُسلَّم من سجود التلاوة؟

س: هل هناك تسليم إذا قام الشخص من سجود التلاوة؟

---

(١) أحمد (٦/ ٣١)، وأبو داود (١٤١٤)، وابن خزيمة (٥٦٥)، والبيهقي (٢/ ٣٢٥)، وهو معلول، وانظر العلل للدارقطني (١٤/ ٣٩٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٥٧٩)، وابن خزيمة وغيره (٥٦٣)، وفي سنده حسن بن محمد وهو مجهول العين.

ج: لا أحفظ عن رسول الله ﷺ دليلًا على التسليم من سجود التلاوة، ومن ثمَّ فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنه ليس في سجود التلاوة تسليم؛ إذ لم يرد أن النبي ﷺ سلَّم من سجود التلاوة، ونُقِلَ هذا عن أبي حنيفة ومالك وقول عن الشافعي وأحمد(١).

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يشرع التسليم عقب سجود التلاوة قياسًا على الصلاة فالنبي ﷺ قال: «..**وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم**»، وهو الصحيح عن الشافعي(٢) وأحمد وإسحاق وغيرهم.



السجود في أوقات الكراهة

س: هل يسجد الشخص للتلاوة في أوقات الكراهة؟

ج: لا أعلم نصًّا محفوظًا في ذلك عن النبي ﷺ بخصوص سجود التلاوة لا منعًا ولا إباحة إلا أن كثيرًا من العلماء قاسوا ذلك على الصلاة فالذين منعوا من الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس وبعد الصبح حتى تطلع الشمس وعندما يقوم قائم الظهيرة منعوا كذلك من السجود، والذين أباحوا الصلاة (خاصة ذوات الأسباب) أباح كثير منهم سجود التلاوة في أوقات الكراهة، أما النواهي عن الصلاة في الأوقات المذكورة فمنها حديث عمر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس(٣).

---

(١) انظر التبيان في آداب حملة القرآن للنووي، وكذا التمهيد لابن عبد البر (١٩/ ١٣٤).
(٢) انظر التبيان للنووي والإنصاف للمرداوي (٢/ ١٩٨).
(٣) البخاري (٥٨١)، ومسلم (٨٢٦).

ولهذا الحديث عدة طرق عن رسول الله ﷺ[(١)].

ومنها حديث عَمْرُو بْنِ عَبَسَةَ أنه سأل النَّبيَّ ﷺ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ؟ قَالَ: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ؛ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلاةِ فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ»[(٢)].

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجُهَنِيَّ قَال: «ثَلَاثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْهَانَا أَنْ نُصَلِّيَ فِيهِنَّ أَوْ أَنْ نَقْبُرَ فِيهِنَّ مَوْتَانَا: حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بَازِغَةً حَتَّى تَرْتَفِعَ، وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ حَتَّى تَمِيلَ الشَّمْسُ، وَحِينَ تَضَيَّفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ»[(٣)].

أما الذين جوَّزوا الصلاة بعد العصر (ذوات الأسباب) فمن أدلتهم:

حديث أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَت: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَنْهَى عَنْهَا «أي: الركعتين بعد العصر» ثُمَّ رَأَيْتُهُ يُصَلِّيهِمَا حِينَ صَلَّى الْعَصْرَ ... قَالَ: يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَإِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ فَشَغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ فَهُمَا هَاتَانِ[(٤)].

---

(١) انظر البخاري (٥٨٦)، ومسلم (٨٢٧).
(٢) مسلم (٨٣٢).
(٣) مسلم (٨٣١).
(٤) البخاري (١٢٣٣)، ومسلم (٨٣٤).

(٤٣٤) أحمر
أسود

س: إذا لم يستطع الإمام أن يقرأ سورة السجدة كاملة يوم الجمعة (في فجر الجمعة) فهل يجوز له أن يقرأ بعض الآيات فيها آية السجدة كي يسجد أم أنه لا يفعل ذلك؟

ج: الظاهر لي من أقوال أهل العلم أن هذا يجوز؛ وذلك لأن الله تبارك وتعالى قال: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ [المزمل: ٢٠]، وبهذا قال عدد من العلماء[1]، وإن كان منهم من كره ذلك، لكن ما قدمته من الأدلة يشهد لقول القائلين بالجواز، والله أعلم.



س: هل صح لقوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ سبب نزول؟

ج: أخرج الترمذي[2] بسندٍ صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تُدعى العتمة.



س: لماذا تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟

ج: ذكر العلماء أسبابًا لذلك:

أحدها: أنها تتجافى عن المضاجع كي يقوموا ويذكروا الله.

الثاني: أنها تتجافى عن المضاجع كي يقوموا للصلاة.

ثم اختلف هل ذلك لصلاة الفريضة أم لصلاة النافلة، فقال بعض العلماء: إن ذلك انتظارٌ لصلاة العشاء.

وقال آخرون: إن ذلك لقيام الليل أي: لصلاة النافلة من الليل.

والأظهر أن ذلك لقيام الليل:

(١) قال بذلك أبو حنيفة والشافعي وغيرهم، وانظر التبيان وانظر الإشراف لابن المنذر كذلك.

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٩٦)، وقال: هذا حديث صحيح غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف أهل التأويل في الصلاة التي وصفهم جلّ ثناؤه أن جنوبهم تتجافى لها عن المضطجع، فقال بعضهم: هي الصلاة بين المغرب والعشاء، وقال: نزلت هذه الآية في قوم كانوا يصلون في ذلك الوقت.

وأورد بإسناد صحيح عن أنس: في قوله: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ قال: يصلون ما بين هاتين الصلاتين.

وبإسناد صحيح عن قتادة قال أنس في قوله: ﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧] قال: كانوا يتنفّلون فيما بين المغرب والعشاء، وكذلك تتجافى جنوبهم.

قال الطبري: وقال آخرون: عني بها صلاة المغرب.

وقال آخرون: لانتظار صلاة العتمة.

وقال آخرون: عني بها قيام الليل.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن الحسن قال: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ قال: قيام الليل.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد قال: هؤلاء المتهجدون لصلاة الليل.

وقال آخرون: إنما هذه صفة قوم، لا تخلو ألسنتهم من ذكر الله.

واختار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن المراد بذلك هو قيام الليل، وهذا القول هو القول الذي أختاره، وذلك لورود الحديث بذلك عن رسول الله ﷺ، ألا وهو حديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال له (لمعاذ): «... **ألا أدلُّكَ عَلى أبْواب الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُكَفِّرُ الخَطِيئَةَ، وَقِيامُ العَبْدِ في جَوْفِ اللَّيْلِ**» وتلا هذه الآية: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ

يُنفِقُونَ ﴾».

وهو حديث صحيح[1] بمجموع طرقه، وقد أورد الطبري له طرقًا، وقد خرجته في عدة مواطن.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم، شغلًا منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفًا وطمعًا، وذلك نبوّ جنوبهم عن المضاجع ليلًا؛ لأن المعروف من وصف الواصف رجلًا بأن جنبه نبا عن مضجعه، إنما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم في وقت منام الناس المعروف، وذلك الليل دون النهار، وكذلك تصف العرب الرجل إذا وصفته بذلك، يدلّ على ذلك قول عبد الله بن رواحة الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في صفة نبيّ الله ﷺ:

يَبِيتُ يُجافِي جَنْبَهُ عَنْ فِراشِهِ إذا اسْتَثْقَلَت بالمُشْرِكِينَ المَضَاجِعُ

فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله تعالى ذكره لم يخصص في وصفه هؤلاء القوم بالذي وصفهم به من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم من أحوال الليل وأوقاته حالًا ووقتًا دون حال ووقت، كان واجبًا أن يكون ذلك على كلّ آناء الليل وأوقاته. وإذا كان كذلك كان من صلى ما بين المغرب والعِشاء، أو انتظر العشاء الآخرة، أو قام الليل أو بعضه، أو ذكر الله في ساعات الليل، أو صلى العتمة ممن دخل في ظاهر قوله: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ لأن جنبه قد جفا عن مضجعه في الحال التي قام فيها للصلاة قائمًا صلّى أو ذكر الله، أو قاعدًا بعد أن لا يكون مضطجعًا، وهو على القيام أو القعود قادر، غير أن

(١) هو عند الطبري (٢٨٢٣٧) فما بعدها، وأخرجه عبد بن حميد في المنتخب بتحقيقي (١١٢)، وأحمد (٥/ ٢٣٠) وقد خرجته هنالك.

الأمر وإن كان كذلك، فإن توجيه الكلام إلى أنه معني به قيام الليل أعجب إليّ؛ لأن ذلك أظهر معانيه، والأغلب على ظاهر الكلام، وبه جاء الخبر عن رسول الله ﷺ.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

ج: هذا – والله أعلم –: ثناءٌ على أهل الإيمان وكذا ترغيبٌ لهم في قيام الليل، قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ أي: تبتعد جنوبهم عن مواضع نومهم وتتنحى عنها فيقومون من فراشهم للصلاة والذكر والدعاء فيدعون ربهم ﷻ خوفًا من عذابه وعقابه، وطمعًا في رحمته وثوابه، وفضلًا عن ذلك فإن نفعهم متعدٍّ وخيرهم واصل للعباد فإنهم ينفقون مما رزقهم الله وأعطاهم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: تتنحَّى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله، الذين وصفت صفتهم، وترتفع من مضاجعهم التي يضطجعون لمنامهم، ولا ينامون ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ في عفوه عنهم، وتفضُّله عليهم برحمته ومغفرته ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ في سبيل الله، ويؤدّون منه حقوق الله التي أوجبها عليهم فيه. وتتجافى: تتفاعل من الجفاء.

وأورد الطبري رحمه الله أثرًا بإسناد حسن عن قتادة ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ قال: خوفًا من عذاب الله، وطمعًا في رحمة الله، ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله وفي سبيله.

وقال ابن كثير رحمه الله:

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ أي: خوفًا من وبال عقابه، وطمعًا في جزيل

ثوابه، ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾، فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: فلا تعلم نفس ما أعدَّه الله ﷻ لهؤلاء الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ويدعون ربهم خوفًا وطمعًا من النعيم الذي تستقر به الأعين ولا تنظر إلى شيء سواه، جزاءً لهم على صالح أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فلا تعلم نفس ذي نفس ما أخفى الله لهؤلاء الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم في هاتين الآيتين، مما تقرّ به أعينهم في جنانه يوم القيامة﴿ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ يقول: ثوابًا لهم على أعمالهم التي كانوا في الدنيا يعملون.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، لَمَّا أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب، جزاء وفاقًا؛ فإن الجزاء من جنس العمل.

قال الحسن: أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر. رواه ابن أبي حاتم.



س: اذكر بعض الأحاديث الواردة في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾؟

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**». قال أبو هريرة: فاقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾.

هكذا روى قوله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ... ﴾ ثم كلام أبي هريرة موقوفًا عليه، وقد وردت طرق تقوي احتمالية الرفع إلى رسول الله ﷺ.

وأخرج مسلم(٢) من حديث سَهْلِ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ رضي الله عنه قَالَ: شَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَجْلِسًا وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى. ثُمَّ قَالَ ﷺ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: «**فِيهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**» ثُمَّ اقْتَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

وأخرج مسلم(٣) في صحيحه من حديث الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يرفعه إلى النبي ﷺ قَالَ: «**سَأَلَ مُوسَى عليه السلام رَبَّهُ عز وجل: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ**

(١) البخاري (٤٧٧٩)، ومسلم (٢٨٢٤).
(٢) مسلم (٢٨٢٥).
(٣) مسلم (حديث ١٨٩) والظاهر أن الوقف في هذا الحديث على المغيرة بن شعبة هو الأصح، وراجع إن شئت العلل.

مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾».

وقد أُعِلَّ هذا الحديث بالوقف.

❋ ❋ ❋

لا يستوي المؤمن مع الفاسق

س: اذكر بعض الآيات الدالة على أن المسلم لا يستوي مع الفاسق؟

ج: من هذه الآيات ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴾ [فاطر: ١٩-٢٠].

وقوله تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القلم: ٣٥].

إلى غير ذلك من الآيات.

❋ ❋ ❋

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: لا يستوي المصدق بوعد الله المطيع لأمره المصدق للقرآن مع الخارج عن الطاعة، والمتجه إلى التكذيب أي: لا

يستوي المؤمن مع الكافر.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أفهذا الكافر المكذّب بوعد الله ووعيده، المخالف أمر الله ونهيه، كهذا المؤمن بالله، والمصدّق بوعده ووعيده، المطيع له في أمره ونهيه، كلا لا يستوون عند الله يقول: لا يعتدل الكفَّار بالله، والمؤمنون به عنده، فيما هو فاعل بهم يوم القيامة. وقال: ﴿لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ فجمع، وإنما ذكر قبل ذلك اثنين: مؤمنًا وفاسقًا؛ لأنه لم يرد بالمؤمن: مؤمنًا واحدًا، وبالفاسق: فاسقًا واحدًا، وإنما أُريد به جميع الفسَّاق، وجميع المؤمنين بالله. فإذا كان الاثنان غير مصمود لهما ذهبت بهما العرب مذهب الجمع.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن عدله أنه لا يساوي في حُكمه يوم القيامة مَنْ كان مُؤمنًا بآياته متبعًا لرسله، بمن كان فاسقًا، أي: خارجًا عن طاعة ربه مكذِّبًا لرُسُله إليه.



س: هل صحَّ لهذه الآية الكريمة ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ﴾ سبب نزول؟

ج: لم أقف لها على سبب نزول صحيح.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

ج: بعد أن ذكر الله ﷻ أن المؤمن لا يستوي مع الكافر بيَّن حال هؤلاء

وأولئك، فقال تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ صدقوا المرسلين وأيقنوا بالله ورضوا به ربًّا وبالإسلام دينًا، فلهم الجنات التي يأوون إليها ويستقرون فيها ﴿نُزُلًا ﴾ ضيافة وإكرامًا من الله ﷻ لهم على طاعتهم وصالح عملهم وأما الذين كفروا وخرجوا عن طاعة ربهم ﷻ وامتنعوا من الإقرار له بالوحدانية فمأواهم الذي يأوون إليه هو النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون، وكنتم له تنكرون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾ يقول تعالى ذكره: أما الذين صدّقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله ورسوله، فلهم جنات المأوى: يعني بساتين المساكن التي يسكنونها في الآخرة ويأوون إليها. وقوله: ﴿نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ يقول: نزلًا بما أنزلهموها جزاء منه لهم بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعته. وقوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ ﴾ يقول تعالى ذكره: وأما الذين كفروا بالله، وفارقوا طاعته﴿فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ ﴾ يقول: فمساكنهم التي يأوون إليها في الآخرة النار ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ ﴾ في الدنيا ﴿تُكَذِّبُونَ ﴾ أن الله أعدّها لأهل الشرك به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي: صدقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها، وهي الصالحات ﴿ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾ أي: التي فيها المساكن والدُّور والغرف العالية ﴿ نُزُلَۢا ﴾ أي: ضيافة وكرامة ﴿ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ ﴾ أي: خرجوا عن الطاعة، ﴿ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ كقوله: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ الآية [الحج: ٢٢].

قال الفُضَيل بن عياض: والله إن الأيدي لموثقة، وإن الأرجل لمقيدة، وإن اللهب ليرفعهم والملائكة تقمعهم.

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ أي: يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ أخبر عن مقر الفريقين غدًا فللمؤمنين جنات المأوى أي: يأوون إلى الجنات فأضاف الجنات إلى المأوى؛ لأن ذلك الموضع يتضمن جنات ﴿ نُزُلًۢا ﴾ أي: ضيافة والنزل: ما يُهيَّأ للنازل والضيف وقد مضى في آخر آل عمران وهو نصب على الحال من الجنات أي: لهم الجنات معدة ويجوز أن يكون مفعولًا له ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ ﴾ أي: خرجوا عن الإيمان إلى الكفر ﴿ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ أي: مقامهم فيها ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ﴾ أي: إذا دفعهم لهب النار إلى أعلاها رُدُّوا إلى موضعهم فيها؛ لأنهم يطمعون في الخروج منها وقد مضى هذا في الحج ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ﴾ أي: يقول لهم خزنة جهنم أو يقول الله لهم: ﴿ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ والذوق يستعمل محسوسًا ومعنى وقد مضى في هذه السورة بيانه.



باب: فسق دون فسق

س: ذكر العلماء أن هناك فسقًا دون فسق وضِّح ذلك ودلِّل عليه.

ج: إيضاحه أن الفسق منه ما هو بمعنى الكفر ومنه ما هو بمعنى المعصية أو الكبيرة، فليس كل فسق يُعدُّ كفرًا، وذلك كقول النبي ﷺ: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**» فالفسوق هنا ليس بالكفر.

وكذا: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٤] فالفسق هنا ليس بكفر.

أما الفسق في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ فالفسق هنا بمعنى الكفر، وذلك للخلود الذي يخلدون في النار، وهذا محمول على الكفر بلا شك، وكذا قوله تعالى في شأن قوم فرعون: ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٤] فالفسق هنا هو المكفر، والله أعلم.



س: هذه الآية الكريمة إحدى الأدلة على عدم فناء النار، وضِّح ذلك.

ج: إيضاحه من قوله تعالى في شأن أهل الفسق والإجرام: ﴿فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ ففيه دليل على أن القوم لن يُخرجوا من النار وهناك أدلة أُخر كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ [النساء: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٣٩]، وقوله ﷺ: «**يُنادي منادٍ ...يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**». والله أعلم.



قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
(٢١) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ
مُنتَقِمُونَ (٢٢) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ
وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا
صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥) أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ
ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦) أَوَلَمْ
يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ
وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
(٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ (٣٠)﴾

[السجدة: ٢١-٣٠]

(٤٤٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:
﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ - مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ - أَئِمَّةً - يُوقِنُونَ - يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ - يَهْدِ لَهُمْ - ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ - ٱلْفَتْحُ - يُنظَرُونَ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾	العذاب الأقرب الذي هو في الدنيا (وقيل: المراد المصائب في الأموال والأنفس والثمرات)
﴿مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾	شكٍّ من التقاءك به
﴿أَئِمَّةً﴾	دعاة للخير وقادةً في ذلك ورؤساء في الحق
﴿يُوقِنُونَ﴾	يصدقون تمام التصديق
﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾	يقضي بينهم – يحكم بينهم – يجعل هؤلاء على حدة، وأولئك على حدة
﴿يَهْدِ لَهُمْ﴾	نبين لهم
﴿ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾	الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها وقد علاه التراب
﴿ٱلْفَتْحُ﴾	القضاء
﴿يُنظَرُونَ﴾	يؤخرون – يمهلون



س: ما المراد بالعذاب الأدنى وما المراد بالعذاب الأكبر؟

ج: أقوى الأقوال في ذلك، والله أعلم، المصائب التي تحلُّ بالعباد في الدنيا سواء كانت في الأنفس أو في الأموال أو في الثمرات.

وإن كانت هناك أقوالٌ أخر في ذلك كقول من قال إن المراد بها الحدود.

وكقول من قال: إنها ما حلَّ بالمشركين يوم بدر من القتل.

وكقول من قال: إنها المجاعات التي أصابتهم.

وكلُّ هذه الأقوال داخلة في القول الأول إلا أنه ينبغي التفطن إلى أمر، وهو أنهم ابتلوا بذلك قبل موتهم وقبل قتلهم، وإلا لما كان لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ كبير معنى، فهو إن قال قائل: إن ذلك ما حلَّ بهم من القتل يوم بدر فمراده –والله أعلم– ما حلَّ ببعضهم ليكون عبرة لهم وتذكرة لهم، والله أعلم.

هذا، وهناك قولٌ آخر في هذا الباب أراه ضعيفًا، وهو قول من قال: إن المراد بذلك عذاب القبر، وهذا قول بعيد يتنافى مع قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي: يرجعون إلى الله ويتوبون، وذلك أن التوبة لا تتأتى لأحدٍ بعد موته، والله أعلم.

❋ أما عن العذاب الأكبر، فالمراد به عذاب يوم القيامة – أعاذنا الله والمسلمين منه.

هذا وقد قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذِّبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى، أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر، والعذاب هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إما شدّة من مجاعة، أو قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك من العذاب الأدنى، ولم يخصص الله تعالى ذكره، إذ وعدهم ذلك أن يعذّبهم بنوع من ذلك دون نوع، وقد عذّبهم بكل ذلك في الدنيا بالقتل والجوع والشدائد والمصائب في الأموال، فأوفى لهم بما وعدهم.

وقوله: ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ يقول: قيل العذاب الأكبر، وذلك عذاب يوم القيامة.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يقول: كي يرجعوا ويتوبوا بتعذيبهم العذاب الأدنى.

هذا، وقد أخرج مسلم[1] في صحيحه من حديث أُبي بن كعب ﵁ قال: في قوله ﷻ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ قال: مصائب الدنيا والرُّوم والبطشة أو الدخان.

وقد أخرجه الطبري ولكن بلفظ مصيبات الدنيا واللزوم (بدلًا من الروم، وهو الأصح، والمراد الآية الكريمة: ﴿لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩]).

قال الطبري:

والبطشة أو الدخان شك شعبة في البطشة أو الدخان.

وأورد الطبري من وجوهٍ متعددة: ما مفاده أن العذاب الأكبر هو العذاب يوم القيامة والله أعلم.



الابتلاءات لإرجاع الناس إلى الله

س: كثيرًا ما يُبتلى العباد لإرجاعهم إلى طريقة الله دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ

(١) مسلم (٢٧٩٩).

يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٤].

والأدلة على ذلك كثيرة. والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ليس هناك أحدٌ أظلم من شخص ذُكِّر بآيات الله فأعرض عنها ونفر منها فإنا من أهل الإجرام وأهل الإعراض منتقمون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وأيّ الناس أظلم لنفسه ممن وعظه الله بحججه، وآي كتابه، ورسله، ثم أعرض عن ذلك كله، فلم يتعظ بمواعظه، ولكنه استكبر عنها.

وقوله: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ يقول: إنا من الذين اكتسبوا الآثام، واجترحوا السيئات منتقمون.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ ﴾ أي: لا أظلم ممن ذَكَّره الله بآياته وبينها له ووضحها، ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساها، كأنه لا يعرفها.

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إياكم والإعراض عن ذكر الله، فإن مَنْ أعرض عن ذكره

فقد اغتر أكبر الغرَّة، وأعوز أشد العَوَز، وعظم من أعظم الذنوب.

ولهذا قال تعالى متهددًا لمن فعل ذلك: ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ أي: سأنتقم ممن فعل ذلك أشد الانتقام.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ ﴾ أي لا أحد أظلم لنفسه ﴿ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ﴾ أي بحججه وعلاماته ﴿ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ ﴾ بترك القبول ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ لتكذيبهم وإعراضهم.



جمعٌ بين آيات

س: ما الجمع بين قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ ﴾ وبين قوله: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ ﴾ والآيات التي على هذا النحو والصدد؟

ج: لأهل العلم في ذلك اتجاهان:

أحدهما: أن يكون الجميع في الظلم سواء.

الثاني: أن يكون ذلك منزلًا على الاختصاص بمعنى: ليس من المعرضين أعظم ظلمًا من المعرض عن آيات الله بعد أن ذُكِّر بها.

وليس من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه، والله أعلم.



س: ما الكتاب الذي آتاه الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟

ج: الكتاب هو التوراة.

س: قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ ﴾ لقاء من؟

ج: المعنى – والله أعلم –: فلا تكن يا رسول الله في شكٍّ من لقاءك بموسى عليه السلام الذي كان ليلة المعراج.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى التوراة، كما آتيناك الفرقان يا محمد ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ يقول: فلا تكن في شكّ من لقائه، فكان قتادة يقول: معنى ذلك: فلا تكن في شكّ من أنك لقيته، أو تلقاه ليلة أُسري بك، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة[1] عن أبي العالية الرياحي، قال: حدثنا ابن عمّ نبيكم –يعني: ابن عباس– قال: قال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: «**أُرِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى بنَ عِمْرَانَ رَجُلًا آدَمَ طِوَالًا جَعْدًا، كأَنَّهُ مِنْ رجالِ شَنُوءَةَ، ورأيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعَ الخَلْقِ إلى الحُمْرَةِ والبياضِ، سَبْطَ الرأسِ ورأيْتُ مالِكًا خازِنَ النَّارِ، والدَّجَّالَ**» فِي آياتٍ أَرَاهنَّ اللهُ إيَّاهُ، ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ أنه قد رأى موسى، ولقي موسى ليلة أُسري به.

إلا أن ابن كثير رحمه الله أورد هذا الأثر من طريق قتادة[2] أيضًا عن أبي العالية عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، قال: جُعل موسى هُدى لبني إسرائيل، وفي قوله: ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ قال: من لقاء موسى ربه عز وجل.

فبين هذين الأثرين بعض الاختلاف والأظهر، والله أعلم أن قوله: ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ أي: لقاءك يا رسول الله بموسى عليه السلام ويشهد له ما سيأتي

---

(١) السند الأول من طريق يزيد عن سعيد عن قتادة، والثاني من طريق روح بن عبادة عن سعيد عن قتادة.

(٢) مسلم (٢٧٩٩).

من آثار عن قتادة رَحِمَهُ اللهُ.

وقد أورد القرطبي رَحِمَهُ اللهُ وجوهًا أخر في ذلك فقال –بعد أن أورد نحوًا مما ذكرنا–:

وقيل: فلا تكن في شك في لقاء موسى في القيامة، وستلقاه فيها. وقيل: فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب بالقبول قاله مجاهد و الزجاج وعن الحسن أنه قال في معناه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ فأوذي وكذب فلا تكن في شك من أنه سيلقاك ما لقيه من التكذيب والأذى فالهاء عائدة على محذوف والمعنى من لقاء ما لاقى. النحاس: وهذا قول غريب إلا أنه من رواية عمرو بن عبيد وقيل في الكلام تقديم وتأخير والمعنى: قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم فلا تكن في مرية من لقائه فجاء معترضًا بين ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ وبين ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾.



س: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ ﴾ جعلنا من ؟

ج: قيل: جعلنا الكتاب الذي آتيناه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو التوراة هدى لبني إسرائيل يهتدون بها ويسترشدون قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢]، وبهذا القول قال ابن كثير قال: قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي: الكتاب الذي آتيناه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والقول الثاني: أن قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ عائدٌ على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويشهد له الخبر المتقدم عن رسول الله ﷺ من طريق قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس. والله أعلم.

وهذا الأخير اختيار الطبري إذ قال:

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا موسى هدى لبني إسرائيل، يعني: رشادًا لهم يرشدون باتباعه، ويصيبون الحقّ بالاقتداء به، والائتمام بقوله.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قال: جعل الله موسى هدى لبني إسرائيل.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: وجعلنا من بني إسرائيل قادةً في الخير يهدون الناس إلى الحق والخير بإذننا لهم بذلك، وذلك أنهم لما صبروا على طاعتنا وامتنعوا عن معصيتنا، وصبروا على أقدارنا وقضائنا، وكانوا من أهل اليقين والتصديق لآياتنا، كل ذلك كان سببًا في أن جعلناهم أئمة.

فالإمامة تُنال بالصبر واليقين كما قال عددٌ من العلماء، ويشهد له قول الله ﷻ عن الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] فلما قام بأوامر الله وانتهى عن نواهيه قال الله له إني جاعلك للناس إمامًا.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾.

يقول تعالى ذكره: وجعلنا من بني إسرائيل أئمة، وهي جمع إمام، الإمام الذي يؤتم به في خير أو شر، وأريد بذلك في هذا الموضع أنه جعل منهم قادة

في الخير، يؤتم بهم ويهتدى بهديهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ قال: رؤساء في الخير. وقوله: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ يقول تعالى ذكره: يهدون أتباعهم وأهل القبول منهم بإذننا لهم بذلك، وتقويتنا إياهم عليه.

قال الطبري:

وقوله: ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ يقول: وكانوا أهل يقين بما دلتهم عليه حججنا، وأهل تصديق بما تبين لهم من الحقّ، وإيمان برسلنا، وآيات كتابنا وتنزيلنا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾، أي: لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك نواهيه وزواجره وتصديق رسله واتباعهم فيما جاؤوهم به، كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر. ثم لما بدلوا وحَرَّفوا وأوّلوا، سلبوا ذلك المقام، وصارت قلوبهم قاسية، يحرفون الكلم عن مواضعه، فلا عمل صالحًا، ولا اعتقاد صحيحًا؛ ولهذا قال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ﴾ قال قتادة وسفيان: لما صبروا عن الدنيا. وكذلك قال الحسن بن صالح.

قال سفيان: هكذا كان هؤلاء، ولا ينبغي للرجل أن يكون إماما يُقتَدى به حتى يتحامى عن الدنيا.

قال وكيع: قال سفيان: لا بد للدين من العلم، كما لا بد للجسد من الخبز.

وقال ابن بنت الشافعي: قرأ أبي على عمي -أو: عمي على أبي -سئل

سفيان عن قول علي رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ألم تسمع قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ ، قال: لما أخذوا برأس الأمر صاروا رؤوسًا.



س: من هؤلاء الأئمة الإسرائيليون الذين عناهم الله بقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً ﴾؟

ج: قال بعض أهل العلم: إنهم أنبياء بني إسرائيل.

وقال آخرون: إنهم العلماء والفقهاء العاملون من بني إسرائيل، والله أعلم.



س: في قوله تعالى: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ قراءتان وضحهما؟

ج: القراءاتان هما (لمَّا)، و(لِما).

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة، وبعض أهل الكوفة (لَمَّا صَبرُوا) بفتح اللام وتشديد الميم، بمعنى: إذ صبروا، وحين صبروا، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (لِمَا) بكسر اللام وتخفيف الميم بمعنى: لصبرهم عن الدنيا وشهواتها، واجتهادهم في طاعتنا، والعمل بأمرنا، وذُكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود (**بِمَا صَبَرُوا**) وما إذا كسرت اللام من (لِمَا) في موضع خفض، وإذا فتحت اللام وشدّدت الميم، فلا موضع لها؛ لأنها حينئذٍ أداة.

والقول عندي في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، قد قرأ بكل واحدة منهما عامة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. وتأويل

الكلام إذا قُرئ ذلك بفتح اللام وتشديد الميم، وجعلنا منهم أئمة يهدون أتباعهم بإذننا إياهم، وتقويتنا إياهم على الهداية، إذ صبروا على طاعتنا، وعزفوا أنفسهم عن لذّات الدنيا وشهواتها. وإذا قرئ بكسر اللام على ما قد وصفنا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

ج: المعنى –والله تعالى أعلم–: أن الرسل وأئمة الخير والهدى لما دعوا بني إسرائيل إلى طريق الحق والرشاد والهدى والإيمان اختلفوا فمنهم من اتبع الهدى ومنهم من ضل عنه وحاد، فأخبر الله ﷻ أنه يفصل بينهم يوم القيامة، ويقضي بينهم فيما اختلفوا فيه في الدنيا من أمور الاعتقادات والأعمال، كما قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُم بَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ [الجاثية: ١٧].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (إِنَّ رَبَّكَ) يا محمد (هُوَ) يبين جميع خلقه يوم القيامة (فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ) في الدنيا (يَخْتَلِفُونَ) من أمور الدين والبعث والثواب والعقاب، وغير ذلك من أسباب دينهم، فيفرق بينهم بقضاء فاصل بإيجابه لأهل الحقّ الجنة، ولأهل الباطل النار.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ أي يقضي ويحكم بين المؤمنين والكفار فيجازي كلا بما يستحق وقيل: يقضي بين الأنبياء وبين قومهم حكاه

النقاش.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: أولم نُبيِّن لهؤلاء المكذبين القرون الكثيرة التي أهلكناها قبلهم وأبقينا آثارهم فإنهم – أي: الذين هم أحياء– يرون آثار المتقدمين الذين أفناهم الله ﷻ وأبادهم كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات: ١٣٧-١٣٨]، وكما قال تعالى في شأن ديارٍ أهلكها وأفناها – (وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ)، أي بطريق يراها المارّة أثناء سفرهم وعودهم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: أولم يهد لهؤلاء المكذبين بالرسل ما أهلك الله قبلهم من الأمم الماضية، بتكذيبهم بالرسل ومخالفتهم إياهم فيما جاؤوهم به من قويم السبل، فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا أثر؟ ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ [مريم: ٩٨] ؛ ولهذا قال: ﴿ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ ﴾ أي: وهؤلاء المكذبون يمشون في مساكن أولئك المكذبين فلا يرون فيها أحدًا ممن كان يسكنها ويعمرها، ذهبوا منها، ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ ﴾ [الأعراف: ٩٢] ، كما قال: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ۗ ﴾ [النمل: ٥٢] ، وقال: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٥، ٤٦] ؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ ﴾ أي: إن في

ذهاب أولئك القوم ودَمَارهم وما حل بهم بسبب تكذيبهم الرسل، ونجاة من آمن بهم، لآيات وعبراً ومواعظ ودلائل متظاهرة.

﴿ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ أي: أخبار من تقدم، كيف كان أمرهم؟

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ﴾ يحتمل الضمير في يمشون أن يعود على الماشين في مساكن المهلكين أي وهؤلاء يمشون ولا يعتبرون ويحتمل أن يعود على المهلكين فيكون حالاً والمعنى: أهلكناهم ماشين في مساكنهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ آيات الله وعظاته فيتعظون.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أولم يبين لهم إهلاكنا القرون الخالية من قبلهم، سنتنا فيمن سلك سبيلهم من الكفر بآياتنا، فيتعظوا وينزجروا. وقوله: ﴿ كَمْ ﴾ إذا قُرئ ﴿يَهْدِ ﴾ بالياء، في موضع رفع بيهد. وأما إذا قرئ ذلك بالنون (**أَوَلَمْ نَهْدِ**) فإن موضع ﴿ كَمْ ﴾ وما بعدها نصب.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ﴾ أولم يبين لهم كثرة إهلاكنا القرون الماضية من قبلهم يمشون في بلادهم وأرضهم، كعاد وثمود.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ عاد وثمود، وأنهم إليهم لا يُرجعون.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في خلاء مساكن القرون الذين أهلكناهم من قبل هؤلاء المكذّبين بآيات الله من قريش من أهلها الذين كانوا سكانها وعمّارها بإهلاكنا إياهم لما كذّبوا رسلنا، وجحدوا بآياتنا،

وعبدوا من دون الله آلهة غيره التي يمرّون بها فيعاينونها، لآيات لهم وعظات يتعظون بها، لو كانوا أولي حجا وعقول، يقول الله: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ عظات الله وتذكيره إياهم آياته، وتعريفهم مواضع حججه؟



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: أولم ير هؤلاء المكذبون بالبعث المنكرون للحساب أننا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات عليها، والتي علاها الغبار فنخرج به زرعًا يأكلون من ثمره وتأكل منه أنعامهم أفلا يرون ذلك واضحًا جليًّا أمامهم فيستدلون بذلك على قدرتنا على البعث.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أولم ير هؤلاء المكذّبون بالبعث بعد الموت، والنشر بعد الفناء، أنا بقُدرتنا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها، وأصله من قولهم: ناقة جرز: إذا كانت تأكل كلّ شيء، وكذلك الأرض الجروز: التي لا يبقى على ظهرها شيء إلا أفسدته، نظير أكل الناقة الجراز كلّ ما وجدته، ومنه قولهم للإنسان الأكول: جَرُوز، كما قال الراجز:

خَبٌّ جَرُوزٌ وَإِذَا ويأكل التمر ولا يلقي النوى

ومنه قيل للسيف إذا كان لا يبقي شيئا إلا قطعه سيف جراز، فيه لغات أربع: أرض جُرُز، وجَرْز، وجِرز وجُرْز، والفتح لبني تميم فيما بلغني.

وأورد بسندٍ صحيح عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس ﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾

أرض باليمن.

وبإسناد حسن عن قتادة: ﴿ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ﴾ المغبرة.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد: في قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ﴾ قال: الأرض الجرز: التي ليس فيها شيء، ليس فيها نبات، وفي قوله: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨] قال: ليس عليها شيء، وليس فيها نبات ولا شيء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعًا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡ﴾ يقول تعالى ذكره: فنخرج بذلك الماء الذي نسوقه إليها على يبسها وغلظها وطول عهدها بالماء زرعًا خضرًا، تأكل منه مواشيهم، وتغذّى به أبدانهم وأجسامهم فيعيشون به ﴿أَفَلَا يُبۡصِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أفلا يرون ذلك بأعينهم فيعلموا برؤيتهموه أن القدرة التي بها فعلت ذلك لا يتعذّر عليّ أن أحيي بها الأموات، وأنشرهم من قبورهم، وأعيدهم بهيئاتهم التي كانوا بها قبل وفاتهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ﴾ أي أولم يعلموا كمال قدرتنا بسوقنا الماء إلى الأرض اليابسة التي لا نبات فيها لنحييها. الزمخشري: الجرز الأرض التي جرز نباتها أي قطع إما لعدم الماء وإما لأنه رعي وأزيل ويقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله تعالى : ﴿فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعًا﴾.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَنُخۡرِجُ بِهِۦ﴾ أي بالماء ﴿زَرۡعًا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ﴾ من الكلإ والحشيش ﴿وَأَنفُسُهُمۡ﴾ من الحب والخضر والفواكه ﴿أَفَلَا يُبۡصِرُونَ﴾ هذا فيعلمون أنا نقدر

على إعادتهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ﴾: يبين تعالى لطفه بخلقه، وإحسانه إليهم في إرساله الماء إما من السماء أو من السيح، وهو: ما تحمله الأنهار وينحدر من الجبال إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته؛ ولهذا قال: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾، وهي التي لا نبات فيها، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ [الكهف: ٨]، أي: يَبَسًا لا تنبت شيئًا وليس المراد من قوله: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ أرض مصر فقط، بل هي بعض المقصود، وإن مثل بها كثير من المفسرين فليست المقصودة وحدها، ولكنها مرادة قطعًا من هذه الآية، فإنها في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء ما لو نزل عليها مطرًا لتهدمت أبنيتها، فيسوق الله إليها النيل بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة، وفيه طين أحمر، فيغشى أرض مصر، وهي أرض سبخة مرملة محتاجة إلى ذلك الماء، وذلك الطين أيضًا لينبُتَ الزرع فيه، فيستغلون كل سنة على ماء جديد ممطور في غير بلادهم، وطين جديد من غير أرضهم، فسبحان الحكيم الكريم المنان المحمود ابتداء.

وقال ابن كثير أيضًا:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾، كما قال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [عبس: ٢٤-٣٢]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾.

وقال:

قلت: وهذا كقوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يس: ٣٣-٣٥].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: ويقول هؤلاء المكذبون بالبعث المنكرون للثواب والعقاب الجاحدون وحدانية الله المستبعدون لوقوع يوم القيامة، يقولون على سبيل السخرية والاستهزاء والتكذيب، متى هذا اليوم الذي يحصل فيه القضاء بيننا وبينكم يا أهل الإيمان؟ متى هذا القضاء والفصل، ائتونا به، عجِّلوا به، فيأتي جواب ذلك من الله لنبيه ﷺ ولأهل الإيمان، قل يوم القيامة، الذي هو يوم الفصل إذا جاء وإذا حلَّ ووقع لا ينفع الذين كفروا إيمانهم إذا آمنوا عند حلوله، وإذا لم يؤمنوا قبل موتهم، وكذا فإنهم لا يؤخرون عن العذاب.

فأعرض عنهم يا رسول الله في دنياك إذ قالوا لك ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ ..﴾ وانتظر يا رسول الله ماذا سيحل بهم من العقاب من جراء كلامهم هذا الذي تكلموا به، وانتظر هلاكهم فإنهم يتربصون بك وينتظرون هلاكك، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ هؤلاء المشركون بالله يا محمد، لك: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ واختلف في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم، ومتى يكون هذا الثواب والعقاب.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ قال: قال أصحاب نبي الله ﷺ: إن لنا يوما أوشك أن نستريح فيه وننعم فيه. فقال المشركون: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

قال الطبري رحمه الله:

وقال آخرون: بل عنى بذلك فتح مكة.

والصواب من القول في ذلك قول من قال: معناه: ويقولون متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم، يعنون العذاب، يدلّ على أن ذلك معناه قوله: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ولا شكَّ أن الكفار قد كان جعل الله لهم التوبة قبل فتح مكة وبعده، ولو كان معنى قوله: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ على ما قاله من قال: يعني به فتح مكة، لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة، ولا شكّ أن الله قد تاب على بشر كثير من المشركين بعد فتح مكة، ونفعهم بالإيمان به وبرسوله، فمعلوم بذلك صحة ما قلنا من التأويل، وفساد ما خالفه. وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يعني: إن كنتم صادقين في الذي تقولون، من أنا معاقبون على تكذيبنا محمدا ﷺ، وعبادتنا الآلهة والأوثان.

وقوله: (قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ) يقول لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهم يوم الحكم، ومجيء العذاب: لا ينفع من كفر بالله وبآياته إيمانهم الذي يحدثونه في ذلك الوقت.

وأورد بإسناد صحيح، عن ابن زيد قال: في قوله: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ

كَفَرُوٓاْ إِيمَـٰنُهُمْ ﴾ قال: يوم الفتح إذا جاء العذاب.

قال الطبري:

وقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يقول: ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة. وقوله: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين بالله، القائلين لك: متى هذا الفتح المستعجليك بالعذاب، وانتظر ما الله صانع بهم، إنهم منتظرون ما تعدهم من العذاب ومجيء الساعة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ يعني يوم القيامة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن استعجال الكفار ووقوعَ بأس الله بهم، وحلول غضبه ونقمته عليهم، استبعادًا وتكذيبًا وعنادا: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ ﴾ ؟ أي: متى تنصر علينا يا محمد؟ كما تزعم أن لك وقتًا تُدَال علينا، ويُنْتَقم لك منا، فمتى يكون هذا؟ ما نراك أنت وأصحابك إلا مختفين خائفين ذليلين!

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ ﴾ أي: إذا حَلَّ بكم بأس الله وسَخَطه وغضبه في الدنيا وفي الأخرى، ﴿ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ ، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [غافر: ٨٣-٨٥] ، ومَنْ زعم أن المراد من هذا الفتح فتحُ مكة فقد أبعد النَّجْعة، وأخطأ فأفحش، فإن يوم الفتح قد قَبِل رسولُ الله ﷺ إسلام

الطلقاء، وقد كانوا قريبًا من ألفين، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم؛ لقوله: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل، كقوله تعالى: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٨]، وكقوله: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]، وقال: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ٨٩]، وقال: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩].

ثم قال: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ أي: أعرض عن هؤلاء المشركين وبلغ ما أنزل إليك من ربك، كقوله: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، وانتظر فإن الله سينجز لك ما وعدك، وسينصرك على من خالفك، إنه لا يخلف الميعاد.

وقوله: ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ أي: أنت منتظر، وهم منتظرون، ويتربصون بكم الدوائر، ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]، وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء رسالة الله، في نصرتك وتأييدك، وسيجدون غب ما ينتظرونه فيك وفي أصحابك، من وبيل عقاب الله لهم، وحلول عذابه بهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

أظهر أقوال أهل العلم عندي هو أن الفتح في هذه الآية الكريمة هو الحكم والقضاء، وقد قدّمنا أن الفتاح: القاضي، وهي لغة حميرية قديمة، والفتاحة:

الحكم والقضاء، ومنه قوله:

ألا مـن مبلـغ عمـرًا رسـولا بـأني عـن فتـاحتكم غنـي

وقد جاءت آيات تدلّ على أن الفتح الحكم؛ كقوله تعالى عن نبيّه شعيب: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، أي: احكم بيننا بالحق، وأنت خير الحاكمين.

وقوله تعالى عن نبيّه نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا﴾ [الشعراء: ١١٧-١١٨]، أي: احكم بيني وبينهم حكمًا. وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ﴾ [الأنفال: ١٩]، أي: إن تطلبوا الحكم بهلاك الظالم منكم، ومن النبيّ ﷺ فقد جاءكم الفتح، أي: الحكم بهلاك الظالم وهو هلاكهم يوم بدر؛ كما قاله غير واحد. وقد ذكروا أنهم لما أرادوا الخروج إلى بدر، جاء أبو جهل، وتعلّق بأستار الكعبة، وقال: اللّهمّ إنا قطان بيتك نسقي الحجيج، ونفعل ونفعل، وإن محمّدًا قطع الرحم وفرّق الجماعة، وعاب الدّين، وشتم الآلهة، وسفّه أحلام الآباء، اللهم أهلك الظالم منّا ومنه، فطلب الحكم على الظالم، فجاءهم الحكم على الظالم فقتلوا ببدر، وصاروا إلى الخلود في النار، إلى غير ذلك من الآيات.

وعلى قول من قال من أهل العلم: إن المراد بالفتح في الآية الحكم والقضاء بينهم يوم القيامة، فلا إشكال في قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ﴾، وعلى القول بأن المراد بالفتح في الآية الحكم بينهم في الدنيا بهلاك الكفّار، كما وقع يوم بدر. فالظاهر أن معنى قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ﴾، أي: إذا عاينوا الموت وشاهدوا القتل، بدليل قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر: ٨٤-٨٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴾ [النساء: ١٨]، وقوله تعالى في فرعون: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٩٠-٩١]. ولا يخفى أن قول من قال من أهل العلم: إن الفتح في هذه الآية فتح مكّة أنه غير صواب، بدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِيمَٰنُهُمْ ﴾ ومعلوم أن فتح مكّة لا يمنع انتفاع المؤمن في وقته بإيمانه، كما لا يخفى.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ قيل: معناه فأعرض عن سفههم ولا تجبهم إلا بما أمرت به ﴿ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ أي انتظر يوم الفتح يوم يحكم الله لك عليهم ابن عباس: فأعرض عنهم أي عن مشركي قريش مكة وأن هذا منسوخ بالسيف في براءة في قوله: ﴿ فَٱقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥] وانتظر أي موعدي لك قيل: يعني يوم بدر ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ أي ينتظرون بكم حوادث الزمان وقيل: الآية غير منسوخة إذ قد يقع الإعراض مع الأمر بالقتال كالهدنة وغيرها وقيل: أعرض عنه بعد ما بلغت الحجة وانتظر إنهم منتظرون إن قيل: كيف ينتظرون القيامة وهم لا يؤمنون؟ ففي هذا جوابان: أحدهما: أن يكون المعنى إنهم منتظرون الموت وهو من أسباب القيامة فيكون هذا مجازا والآخر: أن فيهم من يشك وفيهم من يؤمن بالقيامة فيكون هذا جوابا لهذين الصنفين والله أعلم وقرأ ابن السميقع: (إنهم

(٤٦٨) أحمر
أسود

منتظرون) بفتح الظاء ورويت عن مجاهد و ابن محيصن قال الفراء : لا يصح هذا إلا بإضمار مجازه : إنهم منتظرون بهم قال أبو حاتم : الصحيح الكسر أي انتظر عذابهم إنهم منتظرون هلاكك وقد قيل : إن قراءة ابن السميقع بفتح الظاء معناها : وانتظر هلاكهم فإنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم يعني أنهم هالكون لا محالة وانتظر ذلك فإن الملائكة في السماء ينتظرونه؛ ذكره الزمخشري وهو معنى قول الفراء والله أعلم .

